

صَيْدُ السَّمَكِ

للكاتبة الإنجليزية سِرْسِفِيلْد
بِاسْمِ الأَرِيْبِ حَسْبِشِي

الجليد ؛ ومضى الرجال
يطرحون شباكههم على بعد
مائة قدم ؛ أما أنا فقد
تدثرت بالحرام ، وجلست
على قطعة من الناج ،
وأخذت في مطالعة كتاب
كنت قد أخذته معي

وأقبل الرجال ظهراً ، وقد أصابوا صيداً كبيراً
وكان كل منهم قد اشتد به الجوع ، وإذا كنت المرأة
الوحيدة بينهم ، فقد قمت بأعداد الطعام وتهيئته ،
ثم جلسنا حوله نلتهمه ، متجاذبين فيما بيننا أطراف
الحديث ، أما أنا فقد جلست أنصت إليهم ، إذ كانوا
يتكلمون عن تجاربهم في الصيد ومهارتهم فيه ، مما
لابدع مجالاً للمرأة . ثم
عادوا إلى الصيد ؛ وإذا
بالشمس تختفي ؛ ثم
أربد الأفق ونجهمت
السماء ، وتراكت
السحب ، وهبت
ريح عاصف ، وأخذت
قطع الناج بصطدم
بعضها ببعض في
صوت قوى أزعجني .
ولما أفصححت لأخي

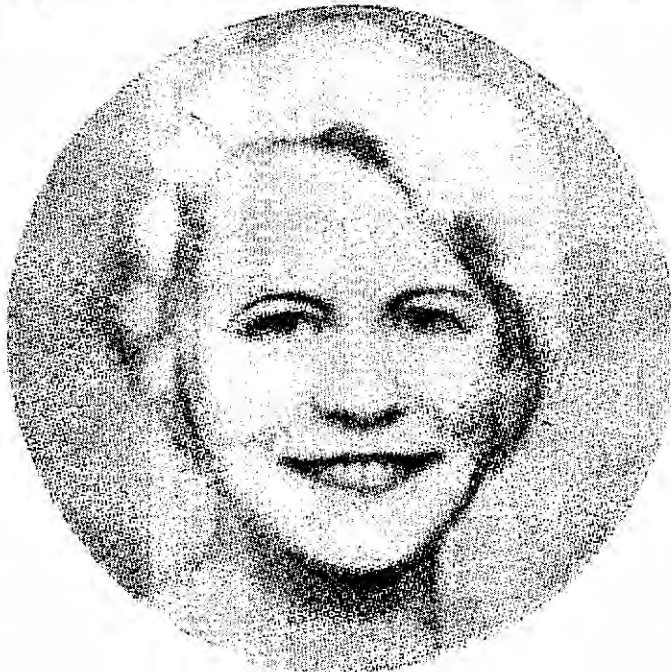
عن مخاوفي فحك مني ، وسخر بي وطلب إلى أن
أخرج ما اصطاده من شبكته ، حتى أشغل عن هذا
الفرع . ولما أتممت ما وكل إلي أدائه ، اقترح أن
أقوم بنفس هذا العمل الآخرين .
كان أربعة رجال منهم قد جلسوا على يسار أخي

في صباح باكر من أيام يناير ١٩٣٠ غادرت
أنا وأخي وخمسة أصدقاء لنا مدينة سنجاو ، ووجهتنا
متشيجان لصيد السمك . وقد يلوح المرء أن من
الغريب أن يذهب أحد في شهر يناير للصيد في جو
كجو متشيجان هذا ، ولكن ينبغي أن أذكر أن
كثيرين يكسبون قوت عائلهم خلال هذا الشهر .

كان الأفق منيراً ،
والسبيل واضحة ،
ومع أن الأرض كانت
مغطاة بالجليد ؛ إلا
أن الحرارة كانت فوق
الصفر بوضع درجات ،
والجو دافئاً ، وتدثرنا
بالملابس الغليظة ،
واستصحبنا معنا
صناديق الذخيرة ،
وقد وضعنا القهوة

الساخنة في « الترموس »

وإذا وصلنا خليج سجناء وهو البقعة التي
اخترناها للصيد وجدنا الجليد يتوغل قرابة ميل
في اتجاه البحيرة ، فتركنا عربتنا على الشاطئ ،
وحملنا منها بمض الذخيرة ، جاعلين وجهتنا حافة



الكاتبة

البحيرة ، وكان الهلع قد اشتد بي في هذه اللحظة ، ولكن زميلي "أقبلا على" يشجمانني ، فأخذنا بشيران إلى الشاطئ ، حيث كان رفيقان من رفاقنا يدفمان العربة ، ولكن الجو أخذ يبرد عن ذي قبل ، وعم الظلام حتى لم نستطع أن نتبين أحداً ، وأقبل الليل ورأيت أن حجم كتلتنا الثلجية قد تضاعف إلى نصف حجمها الأول ، وابتلت ملابسنا بما كانت تسفيننا به الريح من ماء ؛ ولم ألبث أن شعرت بالبرد القارس فأجلستني توم وويلاند بينهما ، وذراني بمطائين مما أحضرته ؛ أما رفاقنا الآخرون فقد اختفوا تماماً ، ولم يدع الرجال وسيلة من وسائل التسلية إلا حاولوها ، وأقبلا بطمئنان خاطري بأن لا بد من مجيء قارب نجاة بعد قليل . وأخذ الثلج يتحرك بشدة فزاد ذلك في رعبنا ، واشتد البرد ؛ ولم تلج أي بادرة من بوادر النجاة . ثم أشعل توم عود ثقاب ونظر في ساعته ، فإذا نحن في منتصف الليل ، فكان لنا في هذا الموقف ثماني ساعات . وحاول (ويلاند) إلياسي معطفه الجلدي ، فأبقت ذلك ؛ ومن ثم سار وسط الحلوكة محاولاً معرفة ما بلغته الكتلة من مساحة ، ولم أستطع أن أرى أكثر من ستة أقدام أمامي ؛ غير أنني لاحظت أنه سرعان ما رجع إلينا ، فسألته عما صارت إليه الكتلة وما بقي من الثلج ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، فتخاذل جسدي كأنما خدر ، وشعرت كأنني في غيبوبة .

وعلى حين فجأة صرخ توم واختطفني ثم دفعني عن نفسه إلى الجانب العكسي ؛ فدُرْتُ عدة مرات حول نفسي قبل أن أتمكن من الوقوف ، ثم اثنتيت زاحفة إليه ألهث ، وقد أبصرته منبطحاً على الثلج ، وأمامه الماء ، ولم أعرف إذ ذاك ما كان

(توم) متحدثين ؛ ولما أتممت عملي مضيت ناحية الصياد الأخير ويدعي ويلاند ، وكان صديقا قديما لي فجلست بجواره ، وأخذنا نتحدث فيما بيننا ، ثم أقبل «توم» واشترك في الحديث ؛ وأخذ الجليد يصطدم ببعضه ببعض ؛ وبالرغم من ضحك رفاقي كنت خائفة ، إذ لاحظت أن الريح أخذت تشتد عن ذي قبل ، وتموى هدارة صاحبة ؛ وفي الحال أخذت كتل من الثلج هائلة الحجم تندفع بشدة وتهوى إلى البحيرة ، فاقترحت على توم أنه ربما كان الأجدي علينا أن نغادر هذه البقعة ، ولأول مرة في حياته خضع لطلبي ، وأخذنا نعمل جميعا معا في نقل ذخيرتنا .

وانحنيت لانتقاط بضعة سمكات حينما سمعت صوت اصطدام هائل ، فانتصبت ، فإذا بي أرى لشدة هلي واضطرابي شريطاً أسود من الماء قد فصلنا نحن الثلاثة عن الأربعة الآخرين ، فصرخت بأعلى صوتي ، وإذا ذلك أبصرت قطعة الثلج التي نحن وقوف عليها ، قد أخذت تتحرك ناحية البحيرة ، فقفز توم وويلاند في مكانهما ، واندفع الأربعة الآخرون يجرون هنا وهناك وينصحبوننا بما لا طائل تحته ... كان طول كتلتنا الثلجية مائة قدم ، وعرضها سبعين تقريباً ؛ فخرى توم إلى حافتها ، وحاول أن يلقي بأحد أطراف شبكة صيده للآخرين ولكن لم تساعده قواه وعاكسته الريح ، وازدادت مساحة الانفصال بيننا وبينهم ؛ فرمى بالشبكة ثانية ففشل أيضاً ، إذ وقع في الماء ، وأحاطني (ويلاند) بذراعه ، وقد اصفر وجهه وجذبني إلى وسط الكتلة الثلجية ، فقد كان ذلك كما يظهر آمناً مكان ، إذ كانت الحواف تنهشم قطعاً قطعاً ؛ وأخذت الريح تشتد عنفاً ، وتدفعنا سريعاً إلى ناحية

قدما ، فافزعني هذا ، والتفت الى (ويلاند) وقد غشى عليه ، وصرخ أخى نجاة وقد قفز قفزة عالية فالتفت فاذا نور ينبثق من مشعل سفينة وهو يتلألأ وسط هذا الديجور القاتم وأخذنا ننظر إلى هذا الضوء في لهفة وشوق وهو آخذ في الاقتراب منا لحظة بعد أخرى ، وصرا أمامنا ست مرات ، وبعد لحظات قلائل أنزل زورق النجاة وسار تجاهنا ، وقفز منه رجلان نحونا ، ودثراني بالأغطية ، وحملاني الى الزورق

ثم عادا بويلاند وتوم وسار بنا الزورق الى الباخرة ، فأبصرت جزييرتنا الصغيرة وقد خلع عليها الضوء لونا شفويا بهيجا ؛ ولم أشعر بلذة ما في حياتي كذا في وأنا أرشف القهوة الساخنة التي ناولنا إياها الضابط في حجرته بالسفينة ؛

وشربت ثلاثة أكواب منها ، فأحسست بالقوة تسري في جسدي ، ثم شعرت برغبة شديدة في النوم ، ولما استيقظت بعد أربع عشرة ساعة أبصرت نفسي على سرير في إحدى المستشفيات . أما ويلاند فقد استعاد صحته برغم ما حاق به من أهوال بعد يومين . أما أخى فقد كان أسرع منه ومنذ تلك الحادثة ، قصرت صيدى للسماك

على المياه الضحلة خلال شهرى مايو ويونيو

من صبي

يفعله توم ؛ ولما اقتربت من الحافة أكثر ولمسته قال : « هاتى يدك يا بنتى ! »

فرددت إليه ذراعى ... وإذ ذاك عرفت ما كان

يعمل

لقد كان يحاول إنقاذ ويلاند ؛ ذلك أن قطعاً

من الثلج قد انفصلت وانزلقت في الماء وعليها (ويلاند) ؛ فجذبني أخى ، ولما عرف أنى أصبحت بمأمن من الفرق مدّ يده لجذب زميلنا ، وحاولت أنا الأخرى انقاذه ،

ولكن لم أتبين يده أو جسمه لشدة الظلام المتراكم بمضه فوق بعض ، واستطعت أخيراً أن أمس أصبعه ؛ ولقد كان صراعا عنيفا لا أستطيع وصفه . ونجحنا أخيراً في جذبه ، وأحسست كأن ذراعى سينفصلان عن



جسدى ، وأخذ الثلج يتراجع الى الوراء ، ورقد ويلاند أمامنا كأنه الجثة الهامدة ؛ وظل ثلاثتنا بضع دقائق واجين صامتين من شدة الفزع والرعب ؛ ثم احتملناه الى الكتلة الجليدية ودثرناه بالأغطية ، ولما لم يُجْد فيه هذا العلاج ، أخذ توم في تحريك ذراعيه بقوة ، يدفعهما الى الأمام والخلف ليسرى الدم في عروقه . وإذ ركعت بجانبه تبينت أن الماء قد أحاط بنا احاطة السوار بالمعصم ، ولم يبق من الكتلة الثلجية الطافية سوى مساحة لا تتجاوز عشرين